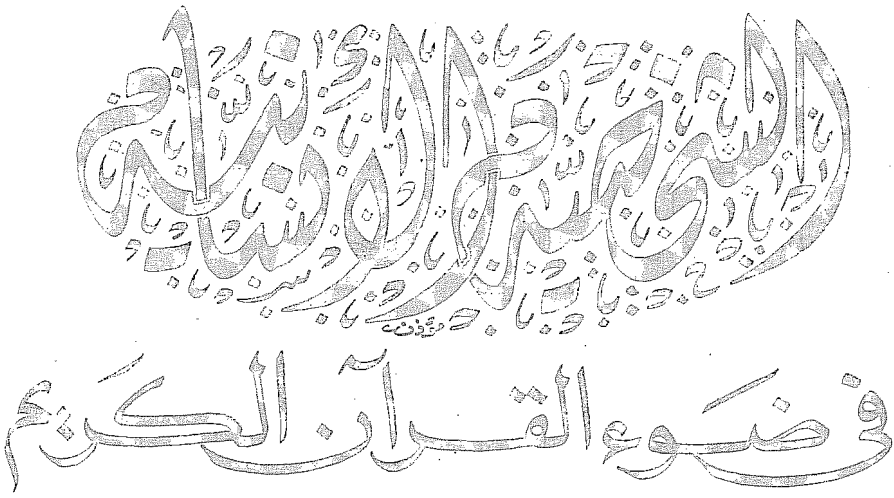

تأليف : الدكتور/أحمد عبد الحميد غراب

عرض وتحليل : الدكتور/كارم السيد غنيم

ظهر كتاب (الشخصية الانسانية في ضوء القرآن الكريم) لصاحبه الاستاذ الدكتور/أحمد عبد الحميد غراب عام ١٩٨٥ في (١٧٥) صفحة من القطع الكبير ، وقامت بنشره الهيئة المصرية العامة للكتاب . وهو يضم تصديرا بقلم فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، ومقدمة ، ثم أربعة فصول تباينت أحجامها فكان أقلها الاول (١٢ صفحة) وأكبرها الثاني (٨٨ صفحة) ، لحقتها قائمتا المراجع : العربية (٤٩ مرجعا) والاجنبية (٢٠ مرجعا) ، وانتهى الكتاب بفهرس المحتويات . إضافة إلى ذلك فقد قام المؤلف بذكر بعض من المراجع في حواشى الصفحات المتوالية ، جلها مذكور في قائمتي المراجع التي وردت في نهاية الكتاب .

في بداية هذا التحليل نود الإشادة بسهولة الاسلوب الذي كتب به المؤلف كتابه ورصانة العبارة الموجزة البعيدة عن الحشو أو الإطناب ، وتكامل الموضوع وخطورته ، ولا ننسى توفر الدقة والضبط الطباعي الذي أخرج الكتاب في أبهى شكل .

يصف صاحب التصدير مؤلف هذا الكتاب بأنه رجل واسع الاطلاع على العلوم الدينية والثقافات الغربية ، وله خبرة بأحوال العصر ، وطبائع الجماعة الاسلامية هنا وهناك ، وله إلمام دقيق بتاريخنا الثقافي ، واحساس بالزاد الفكري والروحي

الذي يناسب أمتنا في هذه الأيام .

استغرقت مقدمة الكتاب تسع صفحات ، وكانت بعنوان (**الشخصية الانسانية في غير الاسلام**) ، ويقول المؤلف في بدايتها : يقوم تصنيف الشخصية الانسانية في غير الاسلام على مقاييس بشرية جاهلية مختلفة ، ترتكز في معظمها على الأهواء والظنون ، فبعضها يقوم شخصية الانسان من حيث الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، أو من حيث جنسه أو لون جلده ، أو مقدار دخله ، أو من حيث قوميته أو وطنه ، وبعضها يقوم شخصية الانسان من حيث بنية جسمه أو تركيب مزاجه ، وبعضها الآخر يقوم الانسان من حيث موقفه من الناس . وأخذ المؤلف يشرح هذه العبارة فأورد تصنيف الناس في مجتمعات الهنود والمجتمعات الفارسية واليونانية والرومانية والبريطانية والامريكية ، وانتقل إلى بيان التصنيف العلمي النفسي وهو الذي لم يجده خيرا محضا أو شرا محضا ، فهناك تصنيف طبي قديم لشخصية الانسان إلى **أربعة أنواع** : حاد الطبع ـ بارد الطبع ـ غضوب ـ متشائم ، وتصنيف نفسي **إلى نوعين** : انطوائي وانبساطي ، وتصنيف آخر تبعا لبنية الجسم إلى **ثلاثة أنواع** : الشخصية الاجتماعية ـ الشخصية المحبة للسيطرة ـ الشخصية المحبة للتفكير . بعد ذلك أخذ المؤلف يبين كيف أن هذه التصنيفات كلها تقوم على الظنون والأهواء ، وكيف يجانبها الصواب في تقويم شخصية الانسان ، وانتهى إلى بيت القصيد ، وهو تقويم الاسلام (أو القرآن) للانسان ، فهو لا ينظر إلى طبقة الانسان أو جنسه أو قوميته أو بنية جسمه أو لون جلده أو مواقفه من الناس ، بل مقياس القرآن في تقويم الانسان هو : موقف الانسان من هدى الله .

ومن الدوافع التي جعلتنا نصف مؤلفنا الجليل بالجودة وبقية الصفات آنفة الذكر أنه حدد هدفه من تأليف هذا الكتاب ألا وهو بيان التصنيف القرآني للشخصية الانسانية ، ثم أوضح الضوابط التي التزم بها في هذه الدراسة ، وأهمها الرجوع إلى القرآن في كل ما يترك وما يدع في هذا الموضوع الخطير ، واتباع منهج القرآن وهو منهج التبين عن طريق الوصف والخصائص العامة للشخصيات ، وضرب الأمثلة وايراد النماذج لها ، واكتشاف الأسباب والمسببات للهدى والضلال ، ثم محاولة الاستفادة من هذا المنهج في محاولة إخراج الناس بكتاب الله من الظلمات إلى النور . أما الدوافع التي شحذت همة المؤلف للقيام بتأليف هذه الدراسة القيمة فهي :

١ ـ أن معظم ما هو متاح للدارس المسلم اليوم (طالبا أم أستاذا) في موضوع الشخصية الانسانية هو كتابات الغربيين ولا سيما في التربية وعلم النفس .

٢ ـ ان الدراسات الاسلامية المعاصرة في هذا الموضوع مازالت قليلة ، وبعضها يجنح إلى الخطابيات والمبالغات ، أو مكتوب بروح اعتذارية

انهزامية ، أو مكتوب من وجهة نظر لا اسلامية رغم أنه يلبس مسوحا اسلامية .

٣ ـ أكثر الذين أعطوا موضوع الشخصية المسلمة حقها من علمائنا المسلمين خلطوا الأفكار المستمدة من القرآن والسنة ، بأفكار أخرى مستمدة من مصادر غير اسلامية .

٤ ـ إن معظم المفكرين المسلمين المعاصرين (إلا قليلا منهم) يعطون الموضوعات السياسية والاقتصاد والتشريع اهتماما اكبر مما يعطون لموضوع الشخصية المسلمة ، ولاشك أن تلك الموضوعات تستحق الاهتمام الشديد ، ولكن موضوع الشخصية المسلمة لا يقل عنها أهمية إن لم يزد .

٥ ـ إن الاسلام يقدم للناس غالبا في صورة مبادىء وتعاليم نظرية والحقيقة أن عظمة الاسلام تتجلى دائما في شخصيات حية تقدمه بالسلوك والقدوة .

٦ ـ عدم تبيين جوانب الشخصية المسلمة بكل صفاتها وخصائصها تبيينا كافيا بالمقارنة بأنواع الشخصيات الأخرى التي وردت في القرآن ، أدى ذلك إلى ظهور من يكفر ويغلو في التكفير بين المسلمين اليوم ، وإلى إصدار فتاوى سريعة وأحكام عامة بالايمان والكفر !!

احتوى الفصل الاول: (**الهدى**) على ثلاث جزئيات :

الاولى في (خصائص الهدى) ، وهذه الخصائص هي :

(١) الهدى الحق هو هدى الله الذي جاء في القرآن (وفسرته السنة) .

(٢) هدى الاسلام هو من الله وليس من البشر ، أي أنه رباني المصدر .

(٣) منهج الهدى القرآني وحي سماوي ، أي لا تحريف ولا تناقض ولا باطل فيه .

(٤) المنهج القرآني في الهدى يقود الانسانية إلى حياة راشدة حكيمة تقوم على الفضيلة .

(٥) الطبيعة العامة للاسلام هي النور ، إذا فهو واضح بنفسه وموضح لغيره طريق الخير بالصورة التي يقبلها العقل وتتفق مع الفطرة السليمة ، دون غموض أو خرافة أو تكليف فوق الطاقة .

(٦) وحدانية المصدر هي منطلق العظمة أيضا في هذ الهدى ، فالمصدر فيه هو الحق تبارك وتعالى والطريق فيه هو الاسلام ، أي أنه النور ، والنور دائما يأتى مفردا في القرآن أما الظلمات فتأتى دائما جمعا ، إذا الطرق الملتوية كثيرة أما الطريق السليم فواحد ، وهو طريق النور القرآنى .

(٧) هذا الطريق هو حقا الطريق المستقيم .

(٨) شمولية الهداية الاسلامية في كل جوانب الفردية والاجتماعية .

(٩) صلاح المنهج الاسلامي لكل زمان وكل مكان مع تشجيع الفكر البشري على الابداع المتطور بتطور الزمان والمكان .

(١٠) احتوى الاسلام على كل ما جاء في الرسالات السماوية السابقة من أسس عامة ، واضافة إلى ذلك فهو مهيمن عليها أي أكمل منها جميعا .

في الجزئية الثانية (نعمة الهدى) يوضح المؤلف أنه باتباع الانسان للهدى القرآني يخرج من الظلمات إلى النور ، وينتقل من الشقاء إلى السعادة ، ومن جلال هذه النعمة أن ورد الدعاء بها في أكثر من سورة في القرآن ، وقد من الله على المؤمنين بها ، وهي النعمة التي تؤهل المهتدي لأكرم صحبة في دار البقاء ، ولا فضل للانسان في إحرازها ، بل الفضل فيها لله وحده .

بعده عرج المؤلف على بيان (الجهد الانساني في الاهتداء) توضيحا لما أورده في السطور السابقة . هل معنى أن الفضل لله وحده في إسباغ نعمة الهدى على الانسان أن ليس للانسان جهد في اختيارها ؟ أجاب المؤلف عن السؤال بأن هناك بعض الجهد ، وشرح ذلك بالتفصيل تحت العناوين الجانبية التالية :

١ ـ جهد المعرفة .
٢ ـ جهد الارادة .
٣ ـ جهد العمل الصالح .

والعجيب أن الكافر نفسه قد بذل جهدا في رفض هذه النعمة ، كيف ذلك ؟ هذا ما ختم به المؤلف الجزئية الثالثة .

آخر جزئيات الفصل الاول كانت في (أهمية تبيين الهدى) وتقديمه للناس بأسلوب مفهوم ومشوق ، يحببهم فيه ولا ينفرهم منه ، مع إبراز أنه البديل الوحيد لحل مشكلاتهم . وقد وردت آيات كثيرة تؤكد أهمية هذا التبيين ، ففى القرآن آيات تبين أن حكمة الله قضت ألا يكون هناك عقاب إلا بعد التبيين ، وآيات تبين أمر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالتبليغ ، وآيات تبين أن مهمة التبيين مهمة الأنبياء ، ثم العلماء ، وآيات توضح لعنة الله على كل من كتم هداه ، وحال بين نوره وبين الناس . وختاما ، فإن التأكيد القرآني لهذه المسألة الخطيرة يدل على حقيقتين :

١ ـ تبيين الاسلام للناس مسئولية كبرى تقع على عاتق العلماء والدعاة لأنهم ورثة الأنبياء . وواجب الحكومات (الاسلامية) أن تساعدهم لا أن تقتلهم كما كان اليهود يقتلون أنبياءهم بغير حق .

٢ ـ أن تعاليم الاسلام إذا شرحت للناس ببساطة ووضوح يقبلها كل ذي عقل سليم وفطرة مستقيمة ، وأن الاسلام ينتشر بالاقناع لا بالاكراه .

الفصل الثاني في هذا الكتاب القيم ، هو أكبر الفصول حجما ، فقد احتوى على ثلاثة مباحث : الأول : في (الخطوات الطبيعية السليمة للاهتداء ، الثاني : في (الجوانب الأساسية للسلوك الاسلامي) ، والثالث : في (الآثار النفسية للاهتداء) .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم « **وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم** » الحج/ ٥٤ ، هذه الآية دار حولها المبحث الأول من الفصل الثاني ، وقد انتظم ثلاث جزئيات هي : العلم والايمان والعمل ، وهي الخطوات الثلاث التي تشكل في نفس الوقت العناصر الأساسية في

تكوين شخصية المسلم ، أي شخصية المهتدى ، ومن ثم فهي متداخلة ومتكاملة ولا تغنى واحدة منها عن الاخرى .

أولا : العلم :

استهل المؤلف كلامه فيه ببيان الحقيقة المروعة وهي أن معظم اتباع دين العلم (أي الاسلام) يتخبطون في ظلمات الجهل ، وهو جهل فاضح ومركب ، جهل بدينهم الذي يدعوهم إلى خير الدنيا والآخرة ، ومن ثم يدعوهم إلى المعرفة المتكاملة بعلوم الدنيا والآخرة ، وهم يجهلون كليهما ... فمعظم المسلمين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، ثم يعكسون هذا الظاهر على الاسلام ، فيرونه ويمارسونه على أنه دين الصور والأشكال والمظاهر والطقوس ، وهو أيضا جهل مركب : لأنه ليس لدى الكثيرين من المسلمين الشجاعة الكافية للاعتراف بهذا الجهل ومحاولة تداركه .

والمعرفة الاسلامية العامة ، أو المعرفة بالاسلام ، ليس معناها حشو ذهن المسلم بمعلومات كثيرة عن الاسلام ، فالعلم القليل النافع خير من الكثير المتمثل في معلومات مكدسة في الذهن لا يستفاد منها في تغيير الواقع النفسي والاجتماعي والسياسي للمسلمين ، أو معلومات مشوشة مضطربة لا تعين على توضيح مشكلة فضلا عن حلها ، أو أقوال مكررة مملولة منقولة عن مقلدين لمقلدين ، لا أصالة فيها ولا اجتهاد ولا مواجهة لمشكلات العصر وتحدياته ، كما هي حال معظم الانتاج الفكري والفقهي خلال القرنين الماضيين . وهذه المعرفة لها خصائص تميزها عن غيرها من أنواع المعرفة هي : أنها شاملة وأنها متكاملة ، وأنها تغييرية ، وأنها تستوعب كل طاقات المسلم ، وأنها تربط المسلم بالله وبالأخلاق الربانية .

ما هي ثمرات هذه المعرفة ؟ ما هي أخلاق علماء الاسلام ؟ ماهي المصادر والطوائف التي يعج بها العالم اليوم ؟ كل هذه الاسئلة أجاب عنها المؤلف على عجل كي ينتقل الى بيان أنواع العلوم الاسلامية الضرورية لكل مسلم قويم الاسلام وهي : القرآن وعلومه ـ السنة وعلومها ـ العقيدة ـ الفقه وأصوله ـ الأخلاق الاسلامية ـ السياسة الاسلامية ـ السيرة والتاريخ الاسلامي ـ اللغة العربية وعلومها ـ المؤامرات على الاسلام ـ فقه الدعوة والعمل الاسلامي . ثم أضاف المؤلف إلى هذا وذاك علما خطيرا ـ وإن كان قد ورد في ثنايا كلام العلماء السابقين في شكل إشارات عابرة ـ هو علم (تدبر القرآن) .

علم (تدبر القرآن) هو أحد العلوم الاسلامية التي نص عليها القرآن ودعت إليها السنة المطهرة . تحدث المؤلف فيه عن كيفية إحياء القرآن للنفوس ، وعقد مقارنة رائعة بين هذا الاحياء وبين إحياء المطر للأرض بعد موتها ، وهذا وجه من وجوه الاعجاز التي دعا المؤلف إلى بيانها وبيان أمثالها للناس . ثم شرح بالتفصيل (شروط التدبر) ، فلكي يحدث هذا الأثر ، أي إحياء النفوس بالهدى ، يجب أن تتوفر في الشخص

صفات هي :
١ ـ أن يكون مسلما عاملا بالاسلام .
٢ ـ أن يكون ملما بالعلوم التي أشار المؤلف إليها آنفا .
٣ ـ أن تكون صلته بالقرآن مباشرة .
٤ ـ أن تكون صلته بالقرآن مستمرة .
٥ ـ أن يكون تدبره مصحوبا بخشوع القلب . وقد ترسل في شرح هذه المسألة الأخيرة لخطورتها في حياة المسلم .

أما عن (مراحل التدبر) ، فقد اقترح المؤلف على إخوانه المسلمين برنامجا لحلقة تدبر القرآن ، قائلا أن جوانبها ليست قواعد جامدة بل يمكن تعديلها طبقا لاجتهاد أصحاب الحلقة . هذا وإن كان قد سبق مؤلفنا الجليل علماء آخرون في بيان هذه المسألة (مثل الأستاذ الداعية سعيد حوى) فإنه قدم مجرد اقتراحات جديرة بالتقدير .

الجانب الأخير في علم (تدبر القرآن) هو بيان (منهج التدبر) ، ولكي يحدث ذلك قام المؤلف بشرح نموذج من القرآن (سورة الطلاق) يمثل وحدة المعرفة والسلوك ، فهذه السورة تجمع بين التشريع والعقيدة والعبادة والأخلاق والتاريخ والعلوم الكونية ، وبذلك تمثل وحدة المعرفة وتكاملها وارتباطها الوثيق بالسلوك الانساني . وهذا المنهج يحقق المزايا التالية :
١ ـ يعلمنا أن ندرس الفقه .
٢ ـ يعلمنا أن نعنى بالموضوع الواحد ، ونتتبعه في القران كله ، ثم في السنة ، ثم في تراث ورثة الأنبياء ، ثم البحث عن إمكانيات تطبيقه في حياة الفرد والجماعة .
٣ ـ سيؤدي استخدام هذا المنهج إلى مراجعة بعض العلوم الاسلامية والعربية وكتابتها من جديد بروح قرآنية ، ومن هذه العلوم : علم التوحيد ـ التاريخ الاسلامي ـ علم الاجتماع ـ الأدب العربي .
٤ ـ ولعل أهم ما يحققه هذا المنهج في تدبر القرآن هو : تربية الشخصية المسلمة تربية قرآنية متكاملة .

ثانيا : الايمان :

أ ـ الايمان بالله الواحد

ما هي الآثار النفسية لعقيدة التوحيد ؟ كيف تتناقض عقيدة التعدد ، وكيف تتنافى مع وحدة الكون ومع الشخصية الانسانية ؟ هل هناك تعدد آلهة محسوس ، وتعدد غير محسوس ؟ هل هناك رق محسوس ورق معنوي ؟ ما هو المغزى الأعظم لسياسة تحرير الرق في الاسلام ؟ هذه الأسئلة قد أجلى المؤلف الاجابات المناسبة لها وعرضها في بساطة ويسر ثم انتقل الى مسألة هامة هي : كيف تحارب عقيدة التوحيد الغرور ، وكيف أن هذا الغرور يعتبر احدى السمات البارزة في (الحضارة) الغربية الحديثة ؟ وهنا أوضح المؤلف أن هذا الغرور يأتي نتيجة لعوامل كثيرة من أهمها :
١ ـ الانجازات العلمية والتكنولوجية لهذه الحضارة
٢ ـ الاتجاه العلماني السائد في كل نواحيها .
٣ ـ تعدد الآلهة في هذه (الحضارة) . وختمت هذه الجزئية

ببيان أن طريق الهلاك لا محالة هو طريق الحضارة الغربية الحديثة ، فهي سائرة دون أن تدرى نحو الهاوية المحققة .

ب ـ الايمان بالغيب :

معناه ـ الايمان بالغيب يكون عنصرا أساسيا في شخصية المسلم ويميزها عن شخصية الكافر ـ نتائج الايمان بالغيب على فكر المسلم ووجدانه وأخلاقه ، وقد عدد المؤلف فيها ست نتائج ضرورية للشخص حتى يحيا حياة هانئة مستقرة . وفي آخر هذه النتائج بين أن الايمان بالغيب يمثل ذروة الشعور الاسلامي بالمسئولية الخلقية ، فالمسلم يفعل الخير ويجتنب الشر لدوافع ترجع إلى تربيته على الهدى ، وأهم هذه الدوافع اثنان هما : تقوى الله ـ الايمان بالعواقب .

كان آخر جوانب المبحث الأول (العمل) ، فالايمان أخلاق حسنة وأعمال صالحة ، وللخلق الحسن في الاسلام خصائص من أهمها سبع خصائص . ثم شرح صفات المؤمنين المتقين في القرآن ، وهي تسعة ، وختم ببعض النصوص القرآنية التي وردت فيها أهم هذه الصفات .

المبحث الثاني من الفصل الثاني يتناول فيه صاحبه (الجوانب الاساسية للسلوك الاسلامي) وهي : العبادات ـ أداء الامانات ـ تجنب المحرمات .

في **العبادات** تكلم المؤلف عن **الصلاة** : وأوضح أنها سلوك انساني يومي يصل المسلم بخالقه ، وهي نشاط نفسي وجسمي متكامل ومتكرر يسهم في حفظ طاقات المسلم لا سيما وقت الشباب من أن تبدد في أنشطة ضارة ، وهي أيضا نشاط يؤدي إلى تكوين عادات حسنة عند المسلم ومعاملة طيبة للناس وبخاصة المسلمون منهم . كذلك **فالانفاق** من العبادات ، فلقد تكرر وصف المؤمنين بالانفاق ، كما تكرر الأمر به والحث عليه في آيات كثيرة تزيد على الأربعين آية . بين المؤلف أن الانفاق غير الزكاة ، ومصادر الانفاق التي يجب أن ينفق منها المؤمن ، ثم موقع الانفاق في الاسلام ، والوجوه الستة التي يجب ان يوجه فيها الانفاق ، وشروطه . وخص بالشرح

الزكاة : أنواعها ، مصادرها ، مصارفها ، مفهوم الصدقة . ثم انتقل إلى **الصيام** ، وصحبه **الاعتكاف** ، ثم **الحج** ، ثم **الجهاد** .

الجزئية الثانية في هذا المبحث كانت (**أداء الأمانات**) : ما هي الأمانة ؟ ما هي حقوق الوالدين ؟ ما هي حقوق الأولاد ؟ ما هي حقوق الزوجية ؟ كيف تتحقق صلة الرحم ؟ ما هي حقوق الجوار ؟ ما هي حقوق المسلمين ؟ ما هي حقوق غير المسلمين ؟ ما هي حقوق الرعية ؟ ما هي حقوق البيئة الطبيعية المحيطة بالانسان من حيوان ونبات وجماد وغلاف جوي وغيره ؟ بعد أن تناول المؤلف الاجابة على هذه الأسئلة ، عرج على بيان الأخلاق التي ترتبط بأداء الأمانات ، وهي العدل ، الوفاء بالعهد ، الصدق ، والصبر .

آخر جزئيات هذا المبحث كانت في (تجنب المحرمات) : من المحرمات التي تحدث عنها المؤلف نجد : الشرك بالله ـ عقوق الوالدين ـ قتل النفس ـ الفواحش ـ الكسب الحرام ـ جميع الرذائل التي تؤدي إلى الفرقة بين المسلمين ـ جميع صفات المنافقين والكافرين . وهنا أجمل المؤلف كلامه الذي سوف يفصله في المسألة الأخيرة في الفصل اللاحق .

دار الحديث في آخر مباحث الفصل الثاني حول (الآثار النفسية للاهتداء) ، واستهل المؤلف حديثه بقوله : يتحرر المؤمن بالله ـ المهتدى بكتابه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من جملة من الأمراض النفسية والعقلية المنتشرة بين الناس ولا سيما في هذا الزمان ، ومن أخطرها الخوف والحزن ، ويتحقق بسكينة النفس .

(١) التحرر من الخوف :

مصادر الخوف في العصر الحديث ـ دور الايمان الخالص في تبديد الخوف ـ التوكل ودوره في التحرر من الخوف ـ الغيب ودوره في ذلك ـ الايمان والعزة والتخلص من الذلة ـ الخوف من الله يبدد الخوف من الناس ـ الشعور بالرضا ـ تصوير حياة الانسان الظالم في المجتمع . بعد أن تكلم المؤلف عن التحرر من الخوف واشتمل كلامه على هذه الجوانب ، ختم بالاشارة إلى .

(٢) التحرر من الحزن :

فقدم له تعريفا ثم بين كيف يذهب الحزن من المؤمن المهتدى ، وما هي فوائد هذا التحرر .

ناقش صاحب الكتاب في هذا الفصل منه نموذجا عظيما للانسان المهتدى هو (الهادى المهتدى الكامل صلى الله عليه وسلم) ، واشتمل ذلك على جانبين فقط هما : الحكمة والرحمة والكرم والزهد مجتمعة معا ، ثم تحطيم الرسول لأغلال الكفر ، وهذه الأغلال كثيرة وثقيلة ، تخنق النفس البشرية ، وتحيل الانسانية إلى شقاء ، وشرها :

١ ـ تأليه البشر ، أي عبادة الانسان لنفسه أو لغيره من البشر .

٢ ـ عبادة المادة ، أي حب الدنيا ومتاعها المادي .

٣ ـ التعصب للقبلية أو القوم أو الوطن أو الجنس أو تقاليد المجتمع أي تقاليد الآباء والأجداد .

٤ ـ السلوك الكافر في الحياة ، وتنتظمه أخلاق على رأسها الجحود بنعم الله لاسيما نعمة هداه .

انتقل المؤلف ، بعد بيان شخصية المهتدى وتوضيح جوانبها في الفصل السابق ، إلى تحديد ملامح (شخصية الضال) في الفصل الثالث . مبتدئا كلامه بتصنيف الضال إلى : ضال كافر ، ضال غير كافر .

أولا : شخصية الضال الكافر :

الانسان الضال الكافر هو من لا يؤمن ولا يعمل بهدى الله ، بعد أن تبين له أنه الهدى ، أي يرفض الاسلام بعد علم وعن اختيار وتعمد ، فلا يرضى به دينا ، ولا بالله ربا ، ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

وتندرج تحت هذه الشخصية شخصيات اخرى هي :

١ ـ المشرك :
وهو من يتخذ مع الله إلها أو آلهة أخرى .

٢ ـ الملحد : وهو من ينكر وجود الله كما ينكر الوحي والرسالة والبعث والجزاء ، وهم في العصر الحالي يتمثلون في الشيوعيين والوجوديين والعلمانيين ، وكثير ممن يسمون في الغرب فلاسفة ومفكرين وعلماء .

٣ ـ الكتابي : وهو المنتمي إلى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ، وهم جميعا يكفرون بالاسلام .

٤ ـ المرتد : وهو المسلم الذي خلع ربقة الاسلام من عنقه وبدل إيمانه كفرا .

٥ ـ المنافق : وهو من يظهر الايمان ويبطن الكفر .

ولكل شخصية من هذه الشخصيات صفات وخصائص معينة تميزها عن غيرها ، ولكنها جميعا تشترك في صفات وخصائص عامة تجمعها ، ومجموع هذه الصفات والخصائص ، أي اجتماعها في إنسان ، هو ما يكون الشخصية الضالة الكافرة ، أي شخصية الكافر .

ثم انبرى مؤلفنا يشرح من صفات شخصية الضال الكافر عشر صفات هي على التوالي :

(١) **الجحود** : وهي إنكار النعمة وعدم الاعتراف بفضل المنعم ، ومن ثم عدم القيام بشكره ، وهو يجحد نعمتين : نعمة الهدى ، ونعمة الخلق والتسوية والرزق والاستخلاف في الارض ..

وعقد المؤلف مقارنة بين شخصية الجاحد وبين الكلب العقور ، ثم بين آثار الجحود على شخصية الجاحد ، وآثاره على المجتمع عموما ، وأنهى هذه الصفة ببيان موقعها في المجتمعات الاسلامية اليوم .

(٢) **اليأس** : ومن معانيه في القرآن معنيان : اليأس من رحمة الله ، الجزع عند الشدة ، وبين المعنيين صلة وثيقة ، أوضحها المؤلف ، ثم أوضح الصلة الوثيقة ايضا بين اليأس والجحود .

(٣) **الشح** : وهناك علاقة بين الشح وكفر النعمة ، وأمثلة ذلك : سخرية كفار مكة ـ قديما ـ من فكرة الانفاق على الفقراء حينما أمر بها الاسلام ـ منافقو المدينة كانوا « لا ينفقون الا وهم كارهون » ـ اشتهار كثير من الأحبار والرهبان بأكل أموال الناس بالباطل والتعامل بالربا ـ قصة قارون وما لقيه جزاء شحه .

(٤) **الاسراف** : بين المؤلف أنه لا يوجد تناقض بين تأصل صفة الشح وكذلك صفة الاسراف في نفس الكافر ، فالشح في أشياء ثم الاسراف في أشياء اخرى . والمعاني المختلفة للاسراف كما أوردها القرآن ـ إضافة إلى الاسراف في إنفاق المال : ـ الزيادة على قدر الاعتدال في الطعام والشراب ، المداومة على ارتكاب المعاصي والذنوب ، الافساد في الأرض وهو يشمل كل أنواع التخريب المادي والمعنوى للحياة الانسانية .

(٥) **الترف** : حدد المؤلف معناه ثم وسائله المتنوعة ثم آثاره على المجتمع ، وبين موقف الاسلام منه ، وضرورة تحمل المشقات والخشونة لتقدم أي مجتمع ، وخص بالذكر من الناس المطالبين بذلك العلماء والدعاة إلى الله .

(٦) **الغرور** .

(٧) **الطغيان** .

(٨) **موالاة الكفار ومعاداة المسلمين** .

(٩) **المكر السيء** : ويمكن تقسيم مكر الكافرين بحسب وسائله الى نوعين :

أ ـ الحرب السافرة : أي محاولة القضاء على الاسلام عن طريق التصفية المادية للمسلمين بوسائل مادية كقتل زعمائهم أو إبادة جماعات كبيرة منهم واحتلال أراضيهم ونهب ثرواتهم .

ب ـ الفتنة : وهي أكبر من القتل ، وهي محاولة إخراج المسلمين من إسلامهم بكافة الوسائل المادية والمعنوية ، المالية والاعلامية ، المباشرة وغير المباشرة . ما هو دور المسلمين إزاء هذا المكر السيء الذي يقذفون به من الكافرين ؟ ما هي آثار المكر السيء على شخصية الماكر ؟ ثم كانت آخر الصفات .

(١٠) **الواقعية المادية** .

حاول المؤلف البحث عن (أسباب إضلال الكافر) ـ فهي كثيرة ومترابطة ومتداخلة ـ لكنه اقتصر على سببين رئيسيين هما : اتباع الهوى ، وحب العاجلة ، بعده قدم بعض النماذج القرآنية لشخصية الكافر وهي :

١ ـ فرعون .

٢ ـ قارون .

٣ ـ الوليد بن المغيرة .

٤ ـ المنسلخ عن آيات الله : وهو العالم الذي لم ينفعه علمه ، فلم يعمل به .

ثانيا : شخصية الضال غير الكافر :

بين المؤلف أنواع الضالين غير الكافرين وأشهرهم :

١ ـ الضال من أهل الفترة : وهو الذي عاش ومات قبل الاسلام ولم تبلغه رسالته .

٢ ـ الضال الأمي : وهو الذي عاش فترة من حياته في الجاهلية وفترة في الاسلام .

٣ ـ الضال الجاهل بوجود الاسلام : أي لم يسمع عن الاسلام قط ، ولا يعرف عنه شيئا على الاطلاق .

٤ ـ الضال الجاهل بمحتوى الاسلام : وهو الذي لا يعرف عن الاسلام سوى نطق الشهادتين ، ولا يدري عنهما شيئا في الفهم والمقتضى والتطبيق .

٥ ـ الضال الاعرابي : وهو الذي قبل الاسلام بلسانه ، لكن الايمان لم يدخل قلبه ، . وهنا فصل المؤلف جوانب مريرة من واقع المسلمين في عامة العالم الاسلامي في العصر الحالي .

٦ ـ الضال المكره : وهو الذي أكره على الكفر لكن قلبه مطمئن بالايمان .

ناقش آخر فصول الكتاب ملامح وجوانب في (شخصية المنافق) ، وهو الانسان الذي يظهر غير ما يبطن ، ويقول ما لايعتقد وما لا يفعل ، وإجمالا هو الذي يتظاهر بما ليس فيه . وشخصية المنافق شخصية مريضة ، منقسمة على نفسها ، فكأنه شخصيتان متصارعتان في جسد واحد ، احداهما تعبر عن نفسها خلال المظاهر الخارجية التي يراها ويسمعها الناس ، والأخرى تعبر عن نفسها بالمشاعر والاعتقادات الداخلية التي لا يطلع عليها أحد ، كمشاعر الحب والبغض واعتقادات الايمان والكفر . تكلم المؤلف عن منبع الصراع بين هاتين الشخصيتين ، ثم شخص أعراض هذا المرض وهي :

خداع النفس ـ الكذب ـ الفسق ـ الافساد في الأرض مع ادعاء الاصلاح ـ السفه واتهام المؤمنين به ـ التظاهر بالايمان أمام المؤمنين ـ مراءاة الناس بأعمال الخير والعبادة ـ كثرة الحلف للمؤمنين ليخدعهم أنه واحد منهم ـ اختلاق الأعذار ـ جمال الظاهر وخراب الباطن ـ التآمر على المسلمين ـ الانتهازية واللعب على الحبلين ـ الذبذبة وعدم الالتزام بالمبادىء أو الأخلاق الفاضلة . ثم أشار المؤلف إلى ما يسمى « الحياد » بين معسكرات الشر اليوم في الشرق والغرب ، وإن هذا ليس من الاسلام في شيء . أنواع النفاق اثنان :

أ ـ نفاق التملق ، وشرح فيه فلسفة النفاق الاجتماعي .

ب ـ نفاق الكفر ، سواء كان ذلك في الماضي أو في عصرنا الحالي (الطابور الخامس) . ما هي خطة الاسلام في معاملة المنافقين ؟ هل هي العزل والابتعاد أم هي التسامح والاختلاط مع الحذر والحيطة ؟ كيف السبيل إلى علاج مرض نفاق التملق ، وحتى يصف العلاج ، قام المؤلف بتحديد الأسباب فوجدها : الخوف والطمع . وبعلاج هذين السببين يعالج نفاق التملق . هل هناك علاج لنفاق الكفر ؟ إنه صعب جدا ، ولكن مؤلفنا حاول أن يجد له علاجا . ثم انتهى الفصل الأخير ـ وبالتالي الكتاب كله ـ بتقديم نموذج لشخصية المنافق عبدالله بن أبي بن سلول .

وفي ختام هذا العرض والتحليل ، نضرع إلى الله سبحانه أن يثيب صاحب الكتاب ثوابا جزيلا جزاء ما قدم من مجهود كبير في هذه المحاولة الجادة لبناء الشخصية المسلمة حتى تسهم في عملية التغيير الجذري لأوضاع المسلمين الحاضرة .